السبيريتسم او مناجاة الارواح

للابوين يوسف مونجان ويوسف منسّى اليسوعيين

تمهيد

قد كثر القال والقيل في هذه الحقبة الاخيرة عن الارواح المنتقلة من هـذا العالم الى عالم آخر وما يُروى عنها من الاعمال الغريبة على يد بعض المتوسطين الذين يتعاطون مناجاتها . فتناقلت الالسنة ذكر هذه الرؤى وأشاعتها الجرائد والمجـلّات فتباحث الكثيرون في صحّتها فمن ناكرٍ وجودها او ناسبها الى الشعوذة والمخرقات ومن مثبتٍ وقوعها . وربّما حكم الفريقان جزافاً دون انتقادٍ كافٍ وتروّ في الامور . فهذا ما حدا بنا ان نبحث في هذا الموضوع افادةً لقرّائنا ودفعاً للالتباس وكشفاً لوجه الحقّ

ولا بُدَّ في هذه التوطئة ان نعرّف السبيريتسم ونقرّر حدودهُ فنقول ان اسمهُ اللفظي مشتقٌّ من كلمة لاتينيّة معناها الروح موصولةٍ بصلةٍ دالّة على المعتقد او الرأي او التخصيص فيكون معنى السبيريتسم علم مناجاة الارواح او المذهب الروحاني كما دعاهُ البعض فيجوز تحديده «معرفة الوسائط للاتصال بالارواح ومناجاتها للاستدلال على مكنونات الامور وخفايا المعلومات ولاسيّما اسرار العالم الآخر» . ومنهم من ينعتون هذه المعرفة باسم العلم بل يجعلونها مذهباً دينيًّا مبناهُ على ما يوحي بهِ الارواح . ولهذا العلم او هذا الدين خَدَمَةٌ يُدعَون «سبيريت» (Spirites) وهم المتعاطون مع الارواح او المدّعون بمناجاتها او المتشيّعون لدين الارواح

وفي مقالتنا الحاضرة سنختصر اوّلاً بالاجمال تاريخ السبيريتسم ثمَّ نروي الحوادث المنسوبة الى الارواح وننتقد صحّتها ثمَّ نسعى بتفسير معانيها الغامضة . ومن بعد ذلك نبحث عن الدين المزعوم المبنيّ على المذهب الروحاني ونختم مقالتنا باثبات رأي الكنيسة الكاثوليكيّة وحكمها في السبيريتسم (١

---

١) دونك اخصّ التآليف الفرنساويّة التي وُضعت في هذا الشان

L. Roure: Le merveilleux spirite, *Paris, Beauchesne*, 3e *éd.*, 1919

Le Dr Surbled : Spirites et Médiums, 1901

١ نظر تاريخي في السبيريتسم

لقد طالما حاول الانسان ان يستكشفَ اسرار الطبيعة الخفيَّة وما يتَّصل بالخلائق والارواح المحجوبة عن نظره . فانَّ التاريخ يشهد على مساعي البشر في ذلك . وها هوذا الكتاب الكريم روى عن شاول في سفر الملوك الاوَّل (٢٨ : ٧ — ٢٠) استقدامهُ للمرأة ذات التابعة في عين دور وكيف أصعدت لهُ روح صموئيل فأخبرهُ عمَّا سيصيبهُ من البلايا . وكان تبعهُ افلاطون والاسكندرانيُّون والأدريُّون في قرون النصرانيَّة الاولى يدَّعون باصعاد الارواح . وقد تكرَّرت هذه المدَّعيات في القرون الوسطى مع ما كان يخالطها من السحريَّات والشعوذة الى القرن السابع عشر مع ما تبعها من الظواهر الغريبة لمشايعي جنسنيوس في القرن الثامن عشر

على انَّ السبيريتسم لم يبلغ سابقاً ما بلغهُ من الرواج والانتشار في القرن التاسع عشر حيث ثبتت هذه الكلمة لاحد مشاهير الكتبة «انَّ الازمنة التي يغلب فيها الارتياب بحقائق الدين هي هي التي تغالي في المعتقدات الباطلة»

وكان مبدأ هذه نهضة السبيريتسم الجديدة في اميركة نحو السنة ١٨٤٨ . فانَّ ثلاثاً من سيِّدات أسرة «فوكس» بينا كنَّ في بيتهنَّ في قرية هيدسفيل (Hydes-ville) من ولاية نيويرك اذ سمعنَ طرقات سرِّيَّة لم يستطعنَ كشف معناها ونسبتها الى روح رجلٍ كان توفِّي في تلك الدار فسعينَ بحادثتهِ بواسطة علامات اصطلاحيَّة اتَّفقنَ عليها وبها اطَّلعنَ على بعض امور الروح المذكورة التي قالت لهنَّ انَّها روح رجل اسمهُ شرل رَين (Ch. Rayn) مات قتلاً ودُفن في تلك الدار قبل سنتين . فاستأنست النساء بتلك الروح وظلَّت تتردَّد عليهنَّ بل تبعتهنَّ الى روشستر والى نيويرك لمَّا حللنَ فيها

Le Dr Grasset : Le Spiritisme devant la Science, *Paris. Masson*, 1909 = Id. : Idées médicales, *ch. sur l'Occultisme*

Dr Pierre Janet : L'automatisme psychologique .*Paris, Alcan*, 1903

A. Arcellin :La dissociation psychologique: Etudes sur les phénomènes inconscients

Castelein : Psychologie, *Bruxelles, Devit*, 1904. *L'Appendice*

ثمَّ بعد مناجاتهنَّ للروح المذكورة وجَّهنَ نظرهنَّ الى ارواح غيرها ظهرت لهنَّ على طرق شتَّى وربَّما حضر الغرباء هذه الجلسات فكانوا يحدقون حول طاولة يرقبون الظواهر الروحانيَّة فيشعرون مسيساً على وجوههم واكتافهم ويشاهدون سحابةً من المانع رماديَّةً ويسمعون اصواتاً وجلبةً في مكان اجتماعهم . فكان لشيوع هذه الحوادث تأثير عظيم لم يشكَّ بوقوعها غير القليلين الذين نسبوا تلك الامور الى حركات طبيعيَّة وضربات صناعيَّة بالأقدام على الالواح او على الطاولة

ومما لحظوا ان بعض الحاضرين لتلك الحفلات كانوا يلعبون فيها ادواراً مختلفة فمنهم مَنْ لم يُكترَث لوجودهم او غيبتهم على خلاف غيرهم الذين كان حضورهم محتوماً واجباً لا تتمّ دونهم أعراض الارواح فدعوا هؤلاء الآخرين باسم الوسطاء (Médiums) لتوسطهم بين الارواح وعالم الكون لولاهم لا تُبدي الطاولات حركةً وتبقى الارواح جامدةً ساكتة . وما لبث هؤلاء الوسطاء ان زادوا عدداً وانتشروا في كلّ انحاء اميركة فتهافت عليهم العموم ليدرك بواسطتهم اسرار العالم الآخر ويناجوا الارواح . ثم زاد الهوس وتفاقم الداء حتَّى بلغ اوربَّة وكان اوَّل فشوِّه في سكوتلندة سنة ١٨٥٢ ثمَّ في لندن في العام التالي ومنها خطا الى المانية ثمَّ فرنسة . وها هو منذ بضع سنين قد ظهر في مصر وانتقل منها الى اقطارنا السوريَّة

وقد وجد السبيريتسم في فرنسة رجلاً يُدعى ألان كرديك (Allan Kardec) واسمهُ الصحيح لاون هيبوليت ريفايل (L. H. Rivail) تبطَّن كل اسراره واقام نفسهُ داعياً لمذهبهِ وان شئتَ قلْ رسولهُ ونبيَّهُ . وُلد المذكور في ليون سنة ١٨٠٤ وتخرَّج في سويسرة بين البروتستانت . فلمَّا كانت السنة ١٨٥٥ جعل يتعاطى كلّ ممارسات المذهب الروحانيّ بل ادَّعى انَّ الارواح سلَّمت اليهِ مقاليد اسرارها لينشرها بين الملأ فأخذ يدوِّن ما تلقَّنهُ الارواح عن عالم الغيب ونشر تلك المعلومات سنة ١٨٥٧ في تأليف دعاهُ « كتاب الارواح » واردفهُ بكتاب الوسطاء . ثم بانجيل السبيريتسم وانشأ مجلَّة تبحث في المذهب المذكور . وكانت وفاتهُ في باريس سنة ١٨٦٩ . وفي اثناء ذلك كان الكونت اجينور دي غسپارين ألَّف كتابهُ في الطاولات الدائرة وهو يُلقي المحاضرات عن المذهب الروحاني . فيتحامل كثيرون الى ممارسة هذا الفنّ الجديد واتَّخذوه كملهاةٍ حتى أصبح كلعبةٍ متداولة

٢ المرويات من اعمال السبيريتسم

لا يسعنا ذكر كلّ ما يروى من اعمال الارواح واحصاؤها فردًا فردًا وانما ندوّن اخصّ ما ينسبونهُ اليها

١ فمن ذلك وهو اكثرها شيوعاً تدوير طاولة او سكمنة او قبعة فرنجيّة او سلّة وما اشبه ذلك باجتماع عدّة اشخاص متسلسلين او بعمل احد الوسطاء منفردًا

٢ ومثلها انتشارًا طَرقات تضربها الطاولة على الارض اصطلاحاً دلالةً على اجوبةٍ مقصودة عند وجود حلقةٍ من الاشخاص حولها او وسيطٍ من الوسطاء

٣ واقلّ شيوعاً مما سبق كتابةُ الطاولة بقلم يعلّق في قائمتها على ورق يوضع تحت القلم بشرط وجود الاشخاص او الوسيط السابق ذكرهم

٤ او يجعلون ايضاً قلماً في يد الوسيط في يقظتهِ او نومهِ فيجري القلم كاتباً على الورق ما يوحى اليهِ من قوّة اجنبيّة دون معرفتهِ ومشيّتهِ الشخصيّة

٥ ومثلها ندرةً ان يتكلّف الوسيط النائم او اليقظان الجواب شفاهاً او بالاشارة على ما يُلقى اليهِ من الاسئلة باسم الروح الساكن فيه

٦ واغربُ من ذلك واندر وَضعُ ورقةٍ او لوحٍ بعيدَين قليلًا عن الوسيط وعليهما قلَم وبعد قليل اذا كُشف عنهما يظهران وعليهما سطور مكتوبة

٧ ومثلها غرابةً وندرة ان ينتقل الاثاث من تلقاء نفسهِ من مكان الى آخر

٨ ان تُسمع صوت طرَقاتٍ على جدران المحلّ حيثما توجد طاولة او بعض الاثاث

٩ واغرب من كلّ ما سبق ظواهر من النور وأشباح يُتيها الوسيط او يرسم صورها بالفوتغراف او يأخذ بعض آثارها

٣ صحّة المرويات المذكورة وانتقادها

قبل ان نبحث عن اسباب هذه المطولات والظواهر دَعْنا نفحص اولاً صحّة وقوعها وهل هي حقيقةٌ كما يزعم الوسطاء مسبّبة عن الارواح او هي بالحري مفاعيل طبيعيّة واعمال صناعيّة لئلّا نخوض في طلب امورٍ وهميّة خياليّة لا حقيقة لها ومن ثمّ لا نقبل ولا ننفي ما يرويهِ الرواة بحُكمٍ سابق ريثما تلوح لنا الحقيقة بتمامها. فانّ العلماء الاثبات لا يُبدون حكمهم الّا على الامور الراهنة الثابتة بعد تقصّيها تماماً

وهذا ما جرى لاحد مشاهير الطبيعيين وليم كروكس (W. Crookes) مع الآنسة فلورنس كوك (Miss Florence Cook) التي كانت تدّعي بالعلاقات مع روح امرأة اسمها كاتي كنغ (Katie King) عاشت في عهد شرل الثاني وعُرفت باسم اني مورغان (Annie Morgan). ففحص العلّامة كروكس تلك الرؤى المزعومة المتجسّمة ونشر ملحوظاته فيها دون ان يستنتج منها نتيجة مقرّرة ولم يشأ ان يبتّ حكماً في ذلك ثمّ لحظوا سنة ١٨٨٠ حيلًا تحايلت بها المس فلورنس كوك. وعليه لايمكن الاعتماد على هذه الامتحانات وان كان اصحاب السبريتسم لا يزالون يشيرون اليها

ثمّ جرت في فرنسة امتحانات أخرى لم تأتِ بنتيجة مقنعة واشهر تلك الامتحانات ما تولّاهُ بعضهم في مونفرت لاموري (Monfort l' Amaury) بفحص مدّعيات امرأة وسيطة كانت تزاول الطبّ اسمها اوسابيا بلادينو (Eusapia Paladino) وذلك بحضور العالمَين الطبيعيين فلماريون ودي روشاس. وكذلك امتحن الدكتور ريشه (M. Richet) وسيطاً آخر في بستان كرمين (Villa Carmen) قريباً من مدينة الجزائر. ومثلها امتحانات أخرى اجراها اعضاء المكتب السيخولوجي العامّ في السنين ١٩٠٥ و١٩٠٦ و١٩٠٧ بحضور بعض مشاهير الاساتذة كالعلماء يورفتش (Yourevitch) وبراللي وكرتيه ودرسنڤال وريشه فعاينوا ما ادّعته الوسيطة المذكورة اوسابيا بلادينو لكنّهم لم يتحقّقوا صحّة مزاعمها ولم يمكنهم الّا ثلث دفعات ان يمنعوها بقبول بعض الاحتياطات لتصحيح قولها بل باغتنامها غير مرّة واكتشفوا بعض حيلها

هذا وانّ العلماء الذين عُهد اليهم فحص هذه الامور الغريبة وجدوا في مراقبتها مشاكل عديدة وليس كلامنا هنا عن العمليّات البسيطة كحركات الطاولة وطرقاتها لكن عن حوادث السبريتسم الغريبة. واوّل ما حال دون فحوصهم ان الوقائع المذكورة لا تجري طوع مشيئتهم اذ لابدّ من وسيط بينهم وبين الظواهر الواجب فحصها. وكثيراً ما يعيا الوسيط عن إبراز الاعمال المزعومة. واذا اتمّ فعلًا شيئاً منها يُقيّد العلماء في فحصها بشروط تخلّ بفحصهم. فمن ذلك ان تلك الظواهر لا تحدث الّا في ظلمة نصفيّة او ظلمة تامّة ممّا يمنعهم عن اثبات الامر كما يجب

ومما يعوق العلماء عن الفحص المدقّق لهذه الرؤى الغريبة مَكْر الوسطاء وغشّهم فمنهم من يتزيّن بالشعوذة وملاعيب السيمياء اي السحر الحلال. ومنهم من يُخدَعون

بالاستهواء. ويخدعون الناس دون مشيئتهم بسبب تأثراتهم . والاولون لا يُحصى عددهم فان في المُمَخرقين والنصّابين رجالاً بلغوا الغاية في اختراع اعمال الشَعْبذة . فكم يُخدَع الناس بأعمالهم وهم ينسبونها الى السحر وليست هي حقًّا سوى حيَل يجرونها بخفّة عجيبة وحذاقة غريبة يندهش بها الناس . وقد شاع في اميركة المحتال مُملير (Mumler) كان يُذهل العموم بحيلهِ . ومثلهُ الفرنسويّ بوغه (Buguet) فان هذا ادّعى ايضاً انّهُ يستطيع ان يصوّر بالشمس أرواحاً فيجسّمها وما كانت تلك الارواح سوى مصنوعات من اللفائف او تقاطيع الكرتون كان يخفيها ويأخذ صورها دون ان يشعر بهِ احد . فهذا انكشف خبثهُ وحُكم عليهِ لمكرهِ لكنّ الذين عاينوهُ لم يزالوا موقنين بصحّة مرويّاتهِ

واعظم ضررًا من السابقين الخادعون المخدوعون فانّ مثل هؤلاء يغلب عليهم الشعور والحسّ حتّى يحملهم الوهم الى تأكيد امور لا حقيقة لها الّا في مخيلتهم . فمن جملة هؤلاء الفتاة المسمّاة حنّة روثا (Anna Rotha) في المانية . والمسمّى سلادا (Slada) من اشهر وسطاء القرن السابق بكتابتهِ على الواح السَبُّورات فوجدوهُ ابدل لوحاً اسود بلوحٍ آخر مكتوب قبلاً . والمسمّى شرل إلدريد (C. Eldrid) الذي كان يصوّر اشباحاً روحيّة جعل صورها في علبةٍ دسّها في الكرسيّ الذي يجلس عليهِ . والوسيطة المذكورة اوساپيا في كمبريج ثبت خداعها في عشرين جلسةً حضرها الجمهور . وغير هؤلاء كثيرون تحقّق مكرهم وذلك ما دفع الدكتور غراسيه (Dr Grasset) الى ان يُعلن وقوع الحيل المتعدّدة في اعمال وسطاء السبيريتسم مع صعوبة مراقبتهم . والدليل على صحّة قولهِ انّ الاعمال العجيبة التي يدّعي بها اصحاب السبيريتسم تكاد تتلاشى عند اتّخاذ المراقبين لهم الوسائلَ الفعّالة لكشف حيلهم . وربّما امتنع الوسطاء عن كلّ عمل اذا شُدّدت عليهم المراقبة

وخلاصة القول انّ ما ذكرناهُ تحت الاعداد الاربعة الاولى لا يُمكن نكرانهُ ولا شكّ في وقوعهِ . وبقيّة الظواهر مشكوك في صحّتها لاسيّما الهبّات النوريّة والشهب المنيرة وكذلك ظهور الاشباح وروَى ارواح هيولية سواء كانت صورتها تامّةً كشخص كامل او جزئيّةً كظهور يدٍ او ذراع او عضو آخر . ومثلها تصوير الارواح المذكورة شمسيًّا او طَبْع رسومها في البرافين او الآجُرّ فهذه المرويّات وغيرها

من شكلها لم تثبت الى الآن بصفةٍ علميَّةٍ وفي عدَّة حوادث استطاع المراقبون ان يكتشفوا حيلًا لاذ بها هؤلاء المدّعون بالمذهب الروحاني . فهذا هو رأي الدكتور غراسه الذي درس كل هذه الظواهر الغريبة . ويرجح وقوع الدهاء والحيلة في انتقال بعض الاثاث من مكان الى آخر دون مسيسها ظاهرًا . وكذلك طرقات الطاولة على الحضيض والصفعات على الجدران او بعض الآنية . وانما أشكل عليه امرُ الوسطاء ذوي الاستهواء اذ لم يتأكد فيهم الخداع ولعلَّهم مخدوعون . ومثلهُ المسيو مكسويل (Maxwell) الذي انعم النظر في كلّ هذه الحوادث السبيريتيَّة فانَّهُ بعد استقرائها والبحث عن صحَّتها نسبها الى الخداع فختم بعضهم قولهُ بهذا الحكم النهائي : «لقد يُحدق بكل هذه الحوادث الغريبة شبهةٌ يُستشف من ورائها الشعوذة والحيَل»

٤ تفسير الحوادث الغريبة المنسوبة الى السبيريتسم

١ لمَّا اعتبر بعض الكتبة ما تحقَّقهُ قومٌ من العلماء عن خُبث اصحاب السبيريتسم وتحايُلهم لم يعودوا يصدّقون من اعمالهم شيئاً بل نسبوها كلَّها الى الحِيَل والتشعوذ والاوهام . على اننا نرى في حكمهم هذا مبالغةً بيّنة لأنَّهُ لا يمكن جحود بعض الظواهر ونفي صحَّتها

٢ ومنهم حزبٌ آخر على عكس الاوَّلين وهم المنحازون الى جانب السبيريتسم وانصار مذهبهم الروحانيّ فانَّهم يرون في الظواهر المذكورة امورًا عجيبة تأتي بها الارواح لتجعل بينها وبين البشر علائق ودّيَّة باطنة مفيدة لحياتهم . هذا رأي لاون دنيس خَلَفُ ألَان كرديك وقال بعض تبعته :

«إن كانت الطاولات تدور او تطرق الارض بقوائمها . ان تحرَّكت الاقلام فكتبت على الالواح . ان لاحت الايادي في الفضاء ان ظهرت الاشباح للعيان . ان تكلَّم الوسطاء اضطرارًا فليس ذلك لإلهاء العموم وترويح الناس وانما هو دليلٌ على انَّ ارواحًا مجرَّدة عن اجسامها تسعى بالاتصال بعالم الاحياء وهي بهذه العلامات الحسيَّة تُعلن العموم بحضورها وباستعدادها لخدمتهم فلذلك تجيب على اسئلتهم . . وقد نشأ السبيريتسم من رغبة الاحياء في البلوغ الى موتاهم الاعزَّاء والاجتماع بهم ليتحادثوا معهم ويقفوا على مصيرهم في عالمهم المجهول ويستفيدوا منهم احوالًا ما وراء القبر . وقد لبَّت الارواح الى مبتغى البشر وهي تظهر لهم لتفيدهم تنزيهً وسلوانًا وتنشط قواهم وتنير عقولهم»

وان سألت هؤلاء المنتمين الى المذهب الروحانيّ وكيف تستطيع ارواح مجرَّدة

عن المادة ان تتصل بعالمنا هذا الهيولي وبالبشر المتجسمين ؟ يجيبونك بقولهم : انَّ للجسم البشري مانعاً يدعونهُ بالعُنصر الكوكبيّ (corps astral) او العنصر المحدق بالروح (périsprit) يستطيع الانسان ان يبعثهُ من جسمهِ اذا شاء. ويمكن الوسطاء تهييجهُ بنفوذ الارواح. فهذا المانع هو الذي يدير الطاولات ويرفع بها عن الحضيض وينقلها من مكان الى آخر. فالوسطاء على زعمهم يجعلون هذا المانع في حوزة الارواح التي تستمدُّهُ لغاياتها تارةً وحدهُ وتارةً ممتزجاً بالمانع الكوني المنتشر في كلّ العالم وبهِ تتمكَّن الارواح من إبراز مفاعيلها العجيبة وصورها المختلفة . وربَّما اعار الوسطاء مانعَ جسمهم للارواح فيصيب الوسيطَ حينئذٍ انحطاطٌ قوّى وضَنكٌ عظيم يكاد ان يُتلفهُ

هذا ما يقولهُ انصار السبيريتسم . امَّا العُقلاء والعلماء الثقة فيرون في تفسيرهم السابق تعليلاً بعيداً عن الصواب. وقبل كلّ لا يرضى عقلٌ صائب بما يزعمهُ اصحاب المذهب الروحاني عن استعداد الارواح لخدمة البشر ايًّا كانوا وكيفما شاؤوا. قال المسيو مورين (A. Morin) العالم الشهير : « لا اظنُّ انَّ ارواح البشر بعد تجرُّدها من اغلال جسدها تتوق الى ان تستبطن قطعةً من الخشب كالطاولات وغيرها وتُعلن حضورها بحركاتٍ هزليَّة دنيئة مستجيلة كحركات الطاولات». وقال عالم آخر المسيو بابينه (Babinet) : « انَّ عدد الوسطاء في اميركة يبلغ ستين الفاً أفليس القول بانَّ ستين الفاً من مشاهير الاموات هم الآن طوع بنان الوسطاء من الاقوال المُضحكة التي توجب النفي والسُّخريَّة »

وزد على ذلك انَّ السبيريتسم حتّى الآن لم يثبت مدَّعياتهِ بالبيّنات الصادقة . فانَّ الارواح التي يزعمون انَّها لفلان الشاعر ولفلان الكاتب ولفلان السياسي لم تثبت هويّتها بالدلائل المقنعة والحجج الدامغة . فانَّ ما تفوه بهِ من الاقوال والآراء انَّما هو صدى افكار الوسطاء او الحضور وليس صورة افكار الاشخاص المزعومين . قال المسيو جانه (M^r Janet) : « ان كورنيل الشاعر الفرنسويّ الشهير اذا استحضرهُ الوسطاء وأنطقوهُ بالشعر لا يأتي الّا بشعرٍ سخيف ركيك اللفظ مبتذل المعنى . واذا استحضروا بوسويه الخطيب المصقع يجعلون في فمهِ خطباً ينبذها أدنى الواعظين »

وقد ادَّعى احد الوسطاء الاميركيين انَّ روح ديكنس الروائي الانكليزيّ

الشهير قد حلّت فيهِ واوحت اليهِ بانجاز احدى رواياتهِ التي حال الموت دون اتمامها . فلما أنجزها أجمع المنتقدون انَّ تتمّة الرواية بعيدةٌ عن انشاء ديكنس وبلاغة كلامهِ وانسجام عبارتهِ . ثمَّ انَّ فصلًا من هـذه الرواية كان بقي بين اوراق ديكنس لم يُطبع فهذا الفصل لا يوجد في قسم الرواية التي تولّى كتابتها الوسيط المذكور وذلك دليل قـاطع على انَّ روح ديكنس لم تنشئ خاتمـة الرواية كما زعم الوسيط الاميركي (١ . ولما حضر العلّامة وندت (Wundt) جلسةً من جلسات السبيريتسم حيث استحضروا بعض ارواح كبار الرجال وجدهم جميعاً من اهل الطبقات السافلة الدنيئة التي لا يجوز ان تُنعت بطبقة عظام الرجال

وما تحقّقهُ اهل النقد انَّ الارواح المزعومة تسلك في اقوالهـا وافعالها مسلك الوسيط عينهِ فتجري على افكارهِ وتمثّل اخلاقهُ وكلامهُ . وفي بعض الاحيان تظهر هذه الارواح مهتمّةً في تصوير افكـار الحضور واحوالهم . فاذا كان الحضور من العلماء تسعى الارواح بمجاراتهم في العلوم الراهنة واذا كان الحضور من رعاع الناس جرت الارواح على منوالهم وسفالة افكارهم . وتكون اجوبة الارواح موافقة لما ينتظرهُ القسم الاكبر من الحضور حتّى انَّ بعض المنتقدين زعموا انَّ تلك الاجوبة يستمدّها الوسيط من الحضور فيعيرها الارواح

ويؤيد هذا الرأي ما كتبهُ المسيو فلمّاريون الطبيعي المعروف بعد ان كان هو عينهُ احد الوسطـاء في خدمة الآن كرديك فانَّهُ لمَّا استحضر روح غاليليوس الشهير وطلب منهُ رأيهُ في تكوين الافلاك وعلم الهيئة وذلك في خلال سنتي ١٨٦٢ و١٨٦٣ كان جواب الروح المزعومة صدى افكـار فلمّاريون وآرائهِ السابقة ليس الّا . وقد نشر صاحب الكتاب الروحاني المطبوع في مصر ما رُوي عن روح غاليليوس في الفصل الثاني (ص ٢٠٠ — ٢١٣) . وقـد أقرَّ بذلك فلمّاريون في ٩ تشرين سنة ١٨٩٩ في منشورات السياسة والتواريخ الدولية وفي كلامهِ عبرةٌ للمعتبرين قال :

« اني كنت وسيطًا لألّان كرديك وقد نشر هذا في كتابهِ المدون بقلم الخليقة الفصول العلميَّة التي كنتُ على زعمهِ التقطتها من روح غاليليوس واملتيها انـا باسمهِ . وليست هذه

---

١) اطلب ما كتبهُ في ذلك الدكتور سوزبلد (ص ٥٤) وسجلّات علم السيكولوجية في ١ حزيران سنة ١٨٩٢ ص ٤٠)

الفصول الآصورة خواطري الشخصية والافكار الشائعة وقتئذٍ بين العلماء بخصوص السيارات والنجوم وتكوين الخليقة واني لم استفد شيئاً البتَّة من روح غاليليوس »

ومثل فلماريون احتجّ عالمٌ آخر المسيو ڤكتوريان سردو (V. Sardou) على الآن كرديك الذي ادّعى انّ الروح اوحى بمعلومات فلسفيَّة مستقلّة فقال المسيو سردو انّ تلك الآراء كان سبق هو نشرها وادرجها في كتب السبيريت فانها آراؤهُ ليست تعاليم الارواح

وقد ثبت اليوم بعد الامتحانات العديدة انهُ لا يوجد مطلقاً حقيقةٌ واحدة من حقائق الفلسفة والدين والآداب قد ابتكرتْها ارواح السبيريتسم فانها كلّها متضمّنة في تآليف الفلاسفة او في كتب التعليم المسيحيّ . واذا عرضوا على تلك الارواح مسائل عويصة فلسفيَّةً كانت او علميَّةً تتملّص منها دون جواب واضح

واغربُ من ذلك انّ الارواح المزعومة التي يعوّلون عليها لمعرفة حقائق العالم الآخر لا تتّفق في اجوبتها بل في كلامها تناقض ظاهر حتّى في اعظم الامور شأناً فيما يخصّ مثلاً عَوْد الارواح الى اجسادها فانّ بين ارواح الشعوب السكسونيَّة وارواح غيرها آراء مختلفة فهولاء ينكرون واولئك يثبتون

وربَّما ظهرت اكاذيب هذه الارواح وتلفيقاتها . وهاك مثالاً يدلّ على قولنا : كانت المدعوَّة تراڤرس سميث وسيطةً للارواح فأتاها يوماً نبأ روحاني بموت احد المسجّلين الايرلنديين اسمهُ پيتر روني (Peter Roony)قال الروح ان المذكور انتحر رامياً نفسهُ تحت عجلات السكّة الحديديَّة . فما اشدّ ما كان انذهالها اذ تأكدت بعد اربع سنوات سنة ١٩١٤ انّ المذكور كان حيًّا يُرزَق . فعلمت ان الروح خدعها

ولنا امثلة عديدة على كذب الارواح روتها جريدة البشير في ردودها على المقتطف وخصوصاً في ما يختصّ بالحقائق الدينيَّة التي كانت الارواح تنكر وجودها ثمَّ تحققها بعد الإلحاح عليها وتبكيتها على كذبها

فلا يمكن اذن الإركان الى اجوبة هذه الارواح . قال الدكتور ف . داڤس (Ph. Davis) : « هاءنذا منذ عشرين سنةً ادرس مناجاة الارواح ففي هذه المدَّة كلّها لم يمكنّي ان احصل انا منها بذاتي او بواسطة غيري افادةً واحدة يجوز للعلماء او للفلاسفة الاعتماد عليها »

وما قولك الآن في هذا المانع الحيويّ التي يزعم الوسطاء انّ الارواح تتّخذهُ وسيلةً لاندماجها مع البشر فكيف يثبت هؤلاء الوسطاء وجودهُ ولم يعرفهُ العلماء حتّى يومنا . وان صحّ وجود مثل هذا المانع افليس الأصوب ان يقال انّ الوسطاء ذاتهم يتوسّلون بهِ لتلك المفاعيل الخارجة . ومن ثمّ لا حاجة الى توسّط الارواح

هذا ما يحضرنا من الجواب على مزاعم المتمذهبين بالمذهب الروحاني الناسبين اليه تلك المعلولات الغريبة . وسنعود الى هذا الامر ونبيّن بطلانهُ في الفصل الاخير

٣ بقي فريق ثالث متوسّط بين الطرفين السابق ذكرهما اعني بين الناسبين كلّ ظواهر السبيريتسم الى الغش والخداع وبين الذين يعزون تلك المفاعيل كلها الى الارواح . وهذه الطريق الوسطى نوافقها نحن ايضاً في قولها انّ لتلك المفاعيل عللاً شتّى والعلّة الاولى (مَكرُ الوسطاء) . فلا شكّ انّ اموراً كثيرة ينسبونها الى الارواح ليست الاّ اعمالاً يأتي بها الوسطاء بثقافةٍ ولقافةٍ ممّا اعتادهُ بعض الظرفاء والمشعوذين تفكهةً للناس واستدراراً لدراهمهم فيعزونها للارواح لتزيد بذلك ارباحهم . وقد اقرّ بذلك الدكتور بابوس الساحر (اسمهُ الصحيح الدكتور انكوس Dr Encausse) قال : « انّ بين عشرة من الوسطاء ثمانية نصّابون مخرقون يحترفون بالشعوذة والخزعبلات (١) . وكثيرون من الوسطاء المذكورين اذا حرّجوهم والحّوا عليهم يجيبون قائلين : « لا عجب ان نلتجئ الى بعض الحيل لأنّ الحضور يحوجوننا الى ذلك وهم تائقون الى غرائب الامور لا يرضون الاّ بها » فانّ المشعوذ الشهير المدعو كلّار (Kellar) قد اتّصل في اميركة سنة ١٨٩٥ الى تقليد الكتابات التي كان الوسيط الانكليزي اغلنتون (W. Eglinton) يدّعيها للارواح ثمّ جاهر بانهُ يستطيع ان يصوّر ايّ كتابةٍ كانت تنسب للارواح المزعومين . وقد اكتشف المراقبون للوسطاء المذكورين حركاتٍ خفيّة واصواتاً تصدر من كعوب ارجلهم كان السامعون يظنّونها خارجةً من الطاولة او من الواح الارضيّة كما تحقّقوا ان بعضهم كانوا يصوّرون الاشباح بوسائط طبيعيّة خفيّة

٢ (الاسباب الطبيعيّة) لا يمكن تعليل كلّ ظواهر السبيريتسم الى الشعوذة والخداع

(١) اطلب كتاب رامي (ص ٥٠) Remy : Spirites et Illusionistes

وانما يمكن نسبة بعضها الى علل طبيعيّة . قال السيّد توريناس (M^sr Turinaz) اسقف نانسي سنة ١٩١١ في احد مناشيره التي كتبها عن السبيريتسم : « انّ بين الحوادث العجيبة التي يرويها تبعة السبيريتسم قسماً كبيراً يمكن نسبتهُ الى القوى الطبيعيّة ولا نشكّ انّ دارسي الحوادث المذكورة يطّلعون على اسبابها الحقيقيّة » . والحقّ يقال انّ بعض العلماء انقطعوا الى التعمّق في اكتشاف عللها فوجدوا انّ بعض الامراض كالهستريّة والجولان في النوم (Somnanbulisme) والتنويم تشبه اعراضها حالة الوسطاء في السبيريتسم ويلوح لمن درسها انّ في الانسان بعض القوى الخفيّة التي لا يدركها بالشعور وانما هي نتيجة تصرّفهِ وعاداتهِ السابقة . فهذه القوى تُبرز اعمالها في بعض الظروف وبفعل بعض التأثيرات . وهكذا يجوز القول انّ ما ينسبهُ الوسطاء الى الارواح انما هو لائحة من هذه التأثيرات الشخصيّة فيهم تبرز الى الوجود في حالة تهيّجهم وتدفعهم الى امور غريبة وتخيّلات كاذبة نتارة يدّعون بوجودهم في امكنة سحيقة او في ازمنة مختلفة وحيناً يصفون احوال اشخاص بعيدين عنهم . وطوراً تعمل فيهم تاثيرات اولئك الاشخاص كأنهم امامهم . وقد جمع العلماء كثيراً من هذه الحوادث الطبيعيّة المسبّبة عن العلل السابق ذكرها وعارضوها باحوال وسطاء السبيريتسم فوجدوها مجانسة لها . منها ما رُوي عن فتاة تدعى هيلينة سميث ابنة احد العمّال في جنيفة حاضرة سويسرة التي تزعم انّها عاشت سابقاً مرّتين على الارض المرّة الاولى قبل ٥٠٠ سنة وانّها كانت ابنة شيخ من العرب والمرّة الثانية كانت الملكة ماري انتوانيت ثمّ بسنّة التناسخ وُلدت الآن بصفة ابنة احد المأمورين لكنّها تتعزّى عمّا فقدتهُ من عزّها السابق بمناجاتها للارواح الساكنة في سيارة المرّيخ والسيّارة اورانوس وفي القمر وانّها تعلّمت هناك لغةً غريبة وضروباً من الكتابات السرّيّة . فهذه الفتاة قد فحصها الدكتور فاورنسي فوجدها بعيدة عن كلّ مكر وخداع وقال عنها انها جُبلت في مخيّلتها تذكارات قديمة وتأثيرات سابقة من مطالعاتها ومسموعاتها فترويها كأنها حدثت فعلاً معها وليست هي الّا سفاسف وخزعبلات صبيانيّة جسّمتها لها اوهامها ومخيّلتها

والدكتور غراسه في كتابهِ المعنون : « السبيريتسم بازاء العلم » يميّز في الافعال النفسانيّة طبقتين طبقةً عليا من الافعال الاختياريّة الحرّة التي يدركها صاحبها تماماً .

وطبقة سفلى وهي الافعال التي تنشأ من النفس عفوًا دون ادراك كأنها حركة ادوات لا حسّ لها . وللطبقتين في الانسان جهازان خصوصيّان يجتمعان عادةً في الافعال البشريّة . وانما يحدث في بعض الاحيان انهما يتفرّدان باعمالها دون ان تُدرِك الطبقة العليا ما يصدر عن السُفلى من الاعمال . فالدكتور غراسه يستند الى هذا الرأي في تفسيره للاحلام وبعض الرؤى الخياليّة واعمال التنويم والاستهواء . وينسب اليها بعض حركات الطاولات الدائرة يحركها الوسيط دون انتباه وبعض الاجوبة التي يردّ فيها على ما يُسأل ويدلّ بها بعض اعمال المصابين بالهستيريّة

وكان الدكتور جانه (Dr P. Janet) سبق واعتمد الى هذا الرأي عينه في كتابه المعنون (l'Automatisme psychologique) وانحاز الى رأيهما هذا غيرهما من الاطباء . نعم انّ هذا الشرح لا يُزيل كلّ الشبهات ولا يوضح كلّ الظواهر وانّما يكشف السرّ عن عدّة خفايا . ويؤمل هؤلاء الحكماء انهم يميطون القناع عن اشياء غيرها اذا مكّنهم الوسطاء من التنقيب عن حركاتهم وسكناتهم بفحص مدقق علمي (الاسباب الخارجة عن الطبيعة) فيبقى في اعمال الوسطاء وارباب السپيريتسم اشياء لا يستطاع تعليلها طبيعيًا فهذه لا بُدَّ من نسبتها الى الارواح ولكن ليس الارواح البسيطة كما يزعم اهل السپيريتسم بل الى الارواح الشريرة اعني الابالسة والشياطين شاء الوسطاء والملاحدة او ابوا كما سنبيّن ذلك في عدد آخر (له صلة)

التذكار الخمسيني

لافتتاح قناة سويس

نبذة تاريخية للاب رفائيل نخله

في تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ تمت السنة الحادية والخمسون لذلك الافتتاح . فيليق بنا ان نتكلم عن هذه المأثرة البديعة التي يسوغ احصاؤها في العجائب الهندسيّة النادرة المثال